

قداسة الله

المحاضرة ١: أهمية القداسة

أ.ر. سي. سنبرول

أبانا وإلهنا، فيما نتناول موضوع قداسيتك، نعلم أننا أمام مهمة مستحيلة، وأننا في هذه اللحظة نقف على أرض مقدسة، لولا رحمتك الثابتة ونعمتك، لفتحنا فاهنا وابتلعنا الهاوية. لذا نطلب منك الليلة، بل نتوسل إليك، لأجل ضعفين من نعمتك ورحمتك، ونحن نحاول فهم هذه الأمور اللازمة حتى نفهمك؛ كما نطلب حضور روح الحق، الذي هو الروح القدس، كي يعيننا على هذه المهمة. ونطلب هذا في اسم المسيح، آمين.

في عامي الأخير في كلية لاهوت بيتسبرغ، وفي عصر يوم خريف، أتذكر جيداً أنني كنت أدرس بمفردتي في المكتبة، وكانت أمامي كومة من الكتب؛ وتعلمون مدى هدوء مكتبة كلية لاهوت الذي يشبه القبور. لا يسمح لأحد بالتحدث أو الترتة. صمت إجباري. وفجأة شنت انتباهي مهمة بدأت في الانتشار تلقائياً عبر أكوام الكتب وطاولات المكتبة، وبدأ الناس في إفساد المناخ العام للمكان، ثم تركوا مقاعدهم وطاولاتهم وركضوا إلى طرقات الكلية؛ لم أكن أعلم ما يحدث حتى قال أحدهم بصوت عالٍ وواضح: "أطلق أحدهم النار على الرئيس".

يمكنكم أن تتصوروا تأثير خبر كهذا على الروتين اليومي الطبيعي للناس. أسرعنا إلى الخارج، وكأني مواطن أمريكي آخر، سمرت أمام المذبح، واستمعت لحظة بلحظة إلى الأخبار، بينما كان الرئيس كينيدي يصارع الموت لحظة بلحظة. ثم بالطبع جاء خبر وفاته. وعلى مدار اليوم التالي، بل الأسابيع أو الأشهر التالية، كان ما شغل الشعب الأمريكي هي هذه اللحظة البائسة في تاريخنا، لحظة الموت الفجائي لرئيس له شعبية. ولاحقاً، صدر كتاب بعنوان "جون، بالكاد عرفناك"، وفت الانتباه إلى قصر مدة رئاسته؛ ولكن، أيها السادة، كلما مات رئيس، أو زعيم، أو ملك، أو رئيس وزراء دولة ما، تمر الدولة بفترة من الصدمة الشديدة والحادثة.

سنة وفاة عزياً الملك:

حسناً، حدث هذا في إسرائيل أيضاً، ففي القرن الثامن جلس ملك على عرش أورشليم، ابتداءً بملك في سن السادسة عشر، وملك في أورشليم لأكثر من خمسين عاماً. تخيلوا! أكثر من نصف قرن. لم يكن هذا أشهر أو أهم ملك في التاريخ اليهودي، لكنه بالتأكيد يُصنف ضمن الخمسة الأهم. وكان اسمه عزياً، وقد صنع في فترة حكمه آخر نهضة إصلاح روحية كبرى لشعب الأرض.

ولكنه مات فجأة في عارٍ لأنه كان يشبه بطلاً شكسبيرياً تراجيدياً خرق المبادئ الأخلاقية والروحية التي وضعها هو نفسه في السنة الأخيرة من حياته. لكن حين مات، كانت هذه نقطة تحوّل، وحدًا فاصلاً في التاريخ اليهودي، إذ من ذلك اليوم فصاعدًا تدهورت حياة الأمة اليهودية وصحّتها الروحية بحدّة، ولم تتعاف قط. وأظنُّ إنّه لحدث مهمّ بعناية الله وتدبيره، فعقب أربع سنواتٍ من موتٍ عزّيّا، تأسست مدينة روما، وحدث تغييرٌ ثقافيٌّ شكّل التاريخ المستقبليّ ككلّ.

لكن في خصمٍ معاناة تلك الأمة، دُعِيَ رجلٌ من الله للعمل النبويّ المقدّس، ولقّبهُ البعض بعدَ هذا بأنه أعظم نبيّ في تاريخ العهد القديم. فهو لم يكن رجلاً تقيّاً فحسب، بل أيضاً رجلَ دولةٍ مُحَنِّكًا، إذ خاطب عدّة ملوكٍ في أثناء خدمته. وكان هو النبيّ الذي قال إنَّ يوماً ما ستحبُّلُ عذراءٌ وتلدُّ ابناً، ويُدعى اسمه عمّانويل. والذي قال إنَّ عبدَ الربِّ سيأتي ويحملُ آثامَ شعبه. واسمُهُ، بالطبع، إشعياء. ونجدُ قصّة دعوته لوظيفة النبيّ في الأصحاح السادس من السفر الذي يحملُ اسمه، وأودُّ أن أقرأ لكم الآن الجزء الأول من هذه القصّة.

يقولُ الأصحاح السادس من سفر إشعياء، والآية الأولى:

فِي سَنَةِ وِفَاةِ عَزِّيَا الْمَلِكِ، رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَأَقْفُونَ فَوْقَهُ، لِكُلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ، بَاثْنَيْنِ يُعْطِي وَجْهَهُ، وَبَاثْنَيْنِ يُعْطِي رِجْلَيْهِ، وَبَاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَلِكَ وَقَالَ قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ فَاهْتَرَّتْ أَسَاسَاتُ الْعُتَبِ مِنْ صَوْتِ الصَّارِخِ، وَامْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا. (إشعياء ٦: ١-٤)

لاحظوا معي في هذا النصّ القصير أن إشعياء يحدّد تاريخ هذا الاختبار الذي اجتازه أنه في سنة وفاة عزّيّا الملك. لا نعرف إن كان ما رآه إشعياء هي رؤيا وجدانية وقعت في هيكل أورشليم، أم أن ما رآه كان في الحقيقة لمحة داخل قُدس أقداس السماء عينها. أفضلُ التفسير الأخير. وأنا على قناعة، لأسبابٍ لن أخوض فيها الآن، أن ما حدث كان أن الله فتح الستار. أي أنه أزال البُرْقعَ عن السماء عينها. وكما رأى يوحنا، بعد بضعة قرونٍ فوق جزيرة بطمس، لمحة داخل السماء، رأى إشعياء النبيّ السيّد متوجّاً في السماء عينها.

رَأَيْتُ السَّيِّدَ:

والآن إن نظرتم إلى كتابكم المقدّس، ستقرأون: في سنة وفاة عزّيّا الملك رأيتُ السيّد جالساً على كُرْسِيِّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمَلَأُ الْهَيْكَلَ. إن نظرتم إلى الترجمة الإنجليزية، سترون كلمة "lord" بالأحرف الصغيرة. هل هذا صحيح؟ وإن تقدّمتم بضعة أعدادٍ أخرى إلى تسبحة السرافيم، ستقرأون: "قُدُّوسٌ، قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ". أترون

هذا؟ أترون أن كلمة رَبِّ في الترجمة الإنجليزية جاءت "LORD" بالأحرف الكبيرة؟ كم منكم لاحظ هذا في النص؟ هذا شائع في الترجمات الإنجليزية للكتاب المقدس، وهو ليس نتاج خطأ مطبعي، بل كان المترجمون يحاولون تشبيها إلى شيء غير معتاد هنا - وهو أنه مع أن الكلمتين واحد، لكن الاختلاف في نوع الأحرف يبين أنهما تأتيان من كلمتين مختلفتين في اللغة العبرية.

كلما رأيت كلمة LORD بالأحرف الكبيرة أو "رب"، تأكد من أن اللفظ العبري هو الاسم يَهُوه، الاسم الذي أعلنه الله لموسى في برية مديان حين قال له: "أهيه الذي أهية" (خروج ٣: ١٤). يَهُوه هو الاسم المقدس لله. قبل هذا، حين رأينا كلمة lord بالأحرف الصغيرة أو "السيد"، نجد أنها مترجمة عن كلمة مختلفة، وهي اللفظ العبري أدوناي، وهو على الأرجح أسمى لقب يستخدمه العهد القديم عن الله. فقد أخذ الله ألقاباً كثيرة في العهد القديم. لكن هذا هو اللقب الأسمى.

على سبيل المثال، نقرأ في المزمور الثامن والآية الأولى: "أيها الرب [LORD] سيدنا [lord]، ما أمجد اسمك في كل الأرض". وهي تعني: "يهوه، أدوناي. ما أمجد اسمك في كل الأرض". وأيضاً في مزمور ١١٠ نقرأ: "قال الرب [LORD] لربي [lord]: اجلس عن يميني - وهي جملة عجيبة ترد في العهد القديم، فيها يصف داود يهوه وهو يتحدث مع شخص آخر، وينسب له لقب أدوناي، اللقب الذي لطالما كان خاصاً بالله نفسه. ليس صدفةً إذن، أيها السادة، أن تصوير الآية الأكثر اقتباساً في العهد الجديد من العهد القديم هو مزمور ١١٠، حيث يخبرنا بولس أن الرب يسوع قد أعطي اسماً هو فوق كل اسم، أي أدوناي، الاسم الذي ينتمي في الأصل إلى الله وحده (فيلبي ٢: ٩-١١).

ومعنى لفظ "أدوناي" ببساطة هو: المتسبب. أترون ما حدث هنا؟ مات الملك. وساد وقت من الحيرة والحزن في الأرض، ولدى الشعب اليهودي، فباتي إشغياً، باسم شعبه، ويتطلع داخل السماء عينها، فلا يرى عزياً، أو حزقياً، أو داود. بل أدوناي، الملك الأعلى، المتوج في السماء. أنا على قناعة شخصية بأن ما رآه هنا كان لحظة قبل التجسد من تنويج المسيح نفسه في جلاله التام.

أذياؤه تملأ الهيكل:

قال: "رأيت السيد جالساً على كرسي عالٍ ومرتفع. وأذياؤه تملأ الهيكل" (إشعيا ٦: ١). كم أحب تلك العبارة: "وأذياؤه تملأ الهيكل". في العصور القديمة، كانت ثياب الملوك مقياساً لمكانتهم. وكان هناك بروتوكول دولي مختص بالمستويات المختلفة لبهاء ثيابهم. فإن ارتدى ملكٌ فزو القام، كان هذا مذهلاً. وإن لبس فزو السمور،

كَانَ هَذَا أَفْضَلَ. أَمَّا فَرُّو المِنْكَ فَكَانَ مِنَ الدَّرَجَةِ الثَّانِيَةِ أَوْ الثَّالِثَةِ. وَمِنْ ارْتَدُّوا الكَثَّانَ كَانُوا يُجْبَرُونَ عَلَى الجُلُوسِ فِي الخَلْفِ فِي اجْتِمَاعَاتِ المُلُوكِ.

أَتَذَكَّرُ أَنِّي شَاهَدْتُ أُولَى بِرَامِجِ البَيْتِ المُبَاشِرِ الدَّوْلِيَّةِ فِي أَمْرِيكَ، وَكَانَ حَفْلٌ تَتَوِيحِ المَلِكَةَ إِيزابِيثَ. ظَلَّ المُعَلِّقُونَ يَتَحَدَّثُونَ عَنِ الأَبْهَةِ الَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ سِوَى البَرِيْطَانِيِّينَ أَنْ يَظْهَرُوهَا، وَعَنْ فَخَامَةِ رِداءِ المَلِكَةِ. وَحِينَ اقْتَرَبَتِ المَلِكَةُ مِنَ العَرْشِ فِي وَسْتْمِنْسْتَر، وَقَبْلَ ذَهَابِهَا إِلَى قِصْرِ بَاكِينْجَهَام، كَانَتْ هُنَاكَ العَدِيدُ مِنَ الوَصِيفَاتِ تَرْفَعْنَ أَدْيَالَ رِدايِهَا فِي أَثْنَاءِ دِخُولِهَا إِلَى البَهْوِ، لِأَنَّ الرِّداءَ امْتَدَّ لِعِدَّةِ أَقْدَامٍ وَرَاءَهَا حِينَ كَانَتْ فِي المَوْكِبِ.

لَكِنْ أَسْمَعُونَ مَا يَقُولُهُ إِسْعِيَاءُ هُنَا، إِنَّهُ حِينَ رَأَى هَذِهِ الرُّؤْيَا لِلْمَلِكِ السَّمَاوِيِّ، رَأَى مَلَكًا كَانَتْ ثِيَابُهُ المُبْهَرَةُ تَخْرُجُ مِنْ جَانِبِي العَرْشِ، ثُمَّ تَمْتَدُّ فِي ثَنِيَّاتٍ فِي أَرْكَانِ الهَيْكَلِ، ثُمَّ تَدُورُ حَوْلَ المَدْخَلِ الخَلْفِيِّ، حَتَّى خَرَجَتْ وَمَلَأَتْ البِنَاءَ كُلَّهُ. وَمَا رَأَهُ هُنَا هُوَ اخْتِبَارٌ بِصَرِيٍّ لِلجَلَالِ، مَتَمِّئٌ فِي بَهَاءِ الثِّيَابِ المَلَكِيَّةِ.

فَوْقَهُ السَّرَافِيمُ:

ثُمَّ قَالَ وَقَفَ فَوْقَ العَرْشِ، وَفَوْقَ يَهُوهِ وَأَدُونَايِ، الرَّبِّ، السَّرَافِيمُ، لِكَلِّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنَحَةٍ (إِسْعِيَاءُ ٦ : ٢). هَذِهِ هِيَ الإِشَارَةُ الوَحِيدَةُ فِي الكِتَابِ المَقْدَسِ إِلَى هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ الَّتِي تُسَمَّى سَرَافِيمَ. حَاوَلِ البَعْضُ مِساوَاتِهَا بِالكُرُوبِيمِ، لَكِنِّي أَعْتَقِدُ أَنَّهُ بِمَا أَنَّ الكِتَابَ المَقْدَسَ يُعَرِّقُ بَيْنَهُمَا، عَلَيْنَا نَحْنُ أَيْضًا أَنْ نَفْعَلَ هَذَا. نَعْلَمُ القَلِيلَ جَدًّا عَنْ هَذِهِ عِدَا أَنَّهُا جِزءٌ مِنَ الجُنْدِ السَّمَاوِيِّ، تِلْكَ الكَائِنَاتُ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ فَقَطُّ كَيْ تَخْدِمَهُ نَهَارًا وَلَيْلًا فِي مَحْضَرِهِ. وَإِنْ قَرَأْنَا وَصَفَ إِسْعِيَاءَ لَهَا، يَبْدُو وَكَأَنَّهَا تَظْهَرُ فِي شَكْلِ عَجِيبٍ، إِذْ نَقَرْنَا أَنَّ لَهَا سِتَّةَ أَجْنَحَةٍ.

دَعُونِي أَتَوَقَّفُ هُنَا لِلْحِظَةِ وَأَعْلَقُ. حِينَ يَخْلُقُ اللهُ مَخْلُوقَاتٍ، فَهُوَ يَخْلُقُهَا بِتَصْمِيمٍ مَحَدَّدٍ. فَهُوَ لَا يَهْدِرُ المَوَادَّ، بَلْ لَدَيْهِ قَدْرَةٌ مَذْهَلَةٌ وَخَارِقَةٌ عَلَى خَلْقِ أَيِّ شَيْءٍ بِحَيْثُ يَلَائِمُ بِيئَتَهُ. فَهُوَ يَخْلُقُ الأَسْمَاكَ بِخِيَاشِيمِ وَرِعايَفَ لِأَنَّ مَكَانَهَا الطَّبِيعِيَّ هُوَ المَاءُ. وَيَخْلُقُ الطُّيُورَ بِأَجْنَحَةٍ وَرِيشٍ لِأَنَّ بِيئَتَهَا هِيَ الهَوَاءُ. وَهَكَذَا، حِينَ يَخْلُقُ كَائِنَاتٍ مَلَائِكِيَّةً، مَهْمَّتُهَا وَوَضِيفَتُهَا الخَاصَّةُ فِي الخَلِيقَةِ هِيَ خِدْمَتُهُ فِي مَحْضَرِهِ، فَهُوَ يُصَمِّمُهَا كَيْ تَلَائِمَ بِيئَتِهَا. وَلِهَذَا، نَجِدُ أَنَّهَا وَهَبَتْ زَوْجَيْنِ إِضَافِيَيْنِ مِنَ الأَجْنَحَةِ.

يُعْطُونَ وَجُوهَهُمْ:

"بِإِثْنَيْنِ يُعْطِي وَجْهَهُ" (إِسْعِيَاءُ ٦ : ٢). فَكَّرُوا مَعِي فِي أَنَّ هَذِهِ الكَائِنَاتِ المَلَائِكِيَّةَ كَانَتْ تَخْدِمُ يَوْمِيًا فِي المَحْضَرِ المُبَاشِرِ رَبِّ الجُنُودِ غَيْرِ المَحْتَجِبِ، الَّذِي مَجْدُهُ لَامِعٌ وَثاقِبٌ بِشِدَّةٍ حَتَّى أَنَّ المَلَائِكَةَ نَفْسَهَا لَزَمَ أَنْ تَحْمِيَ نَفْسَهَا مِنَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ مُبَاشَرَةً.

تذكروا معي القصة الموجودة في سفر الخروج، حين استدعى يهوه موسى، كممّثل لشعب الله، إلى جبل سيناء، ليستلم شريعة الله. كما تتذكرون، صعد موسى في السحاب، وابتلع بشكل ما فوق ذلك الجبل. وانتظره الشعب أياماً كثيرة، وانتابهم القلق، متسائلين ماذا حدث لقائدهم. هل ابتلعه غضب الله فوق ذلك الجبل مثلما حدث مع قورح وعشيرته في تمردهم؟ هل سيعود حياً؟ وماذا قد تكون رسالة الله إن عاد؟ وهكذا انتظروا في خوف ورعدة عودة موسى. وبينما كان موسى فوق الجبل، تكلم مع الله. أتذكرون الحديث؟ إن جاز لي الارتجال قليلاً، سأقول إنه كان شيئاً من هذا القبيل.

قال موسى: "يا رب، قد رأيت بعض الأمور المذهلة في أثناء حياتي. فقد أريتني العليقة المشتعلة، والضربات التي أهلكتها بها المصريين. ورأيتك تشق البحر، وتعبر بأمة كاملة فوق اليابسة. ورأيتك تعطينا، نحن الجوعى، طعاماً بشكل معجز من السماء، لكن الآن هبني العطيّة الكبرى. يا رب، أرني وجهك".

أجابته الله: "يا موسى، تعلم جيداً أنّ كلمتي تقول لا أحد يراني ويعيش. لا تقدر أن ترى وجهي يا موسى. إليك ما سأفعله. سأحفر نفرة صغيرة في تلك الصخرة هناك، وأضعك في نفرة الصخرة، ثم أسترك، وأجتاز، وأدعك تنظر ورائي - (أي) "مؤخر يهوه" في اللغة العبرية - وأما وجهي فلا يرى".

وهكذا وضع الله عبده في نفرة الصخرة، واجتاز بمجده. وأيها السادة، لجزء من الثانية، رأى موسى لمحة خفيفة من مجد الله المنعكس، وماذا حدث؟ حين نزل من الجبل، وراه الشعب من بعيد، تملكهم الحماس بسبب عودة قائدهم، وتزاحموا ليحيوه. وفجأة، انكمشوا إلى الوراء في رعب، وسقطوا على وجوههم، ثم بدأوا في التوسل إلى موسى قائلين: "يا موسى! غط وجهك!" لم يحتلموا النظر إليه. لماذا؟ لأن وجه موسى كان يلمع بشدة حتى أنه كان يُعمي بصر الشعب، ولم يكن ما رآه هؤلاء، أيها السادة، سوى انعكاس ظهر على وجه إنسان نتيجة لمحة سريعة لمجد الله من الخلف.

ولذا كان على الملائكة أن يغطوا وجوههم في محضره.

يُغَطُّونَ أَرْجُلَهُمْ:

وإبناحين، كما نقرأ، يغطون أرجلهم (إشعيا ٦: ٢). لا يُعَسِّرُ لَنَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لِمَ كَانَ يَجِبُ أَنْ يُعْطِيَ السَّرَافِيمُ أَرْجُلَهُمْ. لا يمكنني سوى التخمين، وسأجازف بالتخمين هنا بأن الأرجل، للملائكة والبشر أيضاً، هي رمز الطبيعة المخلوقة في الكتاب المقدس.

فإِنَّا نَعْرِفُ أَنَّنَا مِنَ الْأَرْضِ، تَرَابِيُونُ، وَأَقْدَامُنَا مِنْ طِينٍ. فحين التقى موسى بالله في بَرِّيَّةِ مِديَانَ، ماذا كَانَ أَوَّلُ شَيْءٍ قَالَهُ اللهُ؟ "مُوسَى، مُوسَى! اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لِأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ" (خروج ٣: ٥). فقد طلبَ مِنْهُ أَنْ يَكْشِفَ رِجْلَيْهِ، رَمَزَ طَبِيعَتِهِ الْمَخْلُوقَةَ، وَخُضُوعِهِ أَمَامَ الْقُدُوسِ. وهكذا، في السَّمَاءِ نَفْسِهَا يُعْطِي الْمَلَائِكَةَ رَمَزَ طَبِيعَتِهِمُ الْمَخْلُوقَةَ.

قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ:

لَكِنْ بِقَدْرِ انبهارِي، أَيُّهَا السَّادَةُ، بتكوينِ جسدِ السَّرَافِيمِ، هذا أَمْرٌ ثَانَوِيٌّ فِي نَصِنَا هَذَا. ما يَشْكَلُ أَهْمِيَّةَ حَقِيقِيَّةً فِي هَذَا النَّصِّ، لَيْسَ هُوَ تَكْوِينُ جَسَدِ الْمَلَائِكَةِ، بَلْ رِسَالَتُهُمْ. اسْتَمِعُوا إِلَى مَا يَقُولُهُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ: "بِاثْنَيْنِ يَطِيرُ. وَهَذَا نَادَى ذَلِكَ وَقَالَ قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ، مَجْدُهُ مِلءُ كُلِّ الْأَرْضِ" (إشعياء ٦: ٣).

كُنْتُ أَقِفُ هُنَاكَ قَبْلَ أَنْ نَبْدَأَ هَذِهِ السِّلْسِلَةَ، وَمَنْ يَشَاهِدُونَهَا مُسَجَّلَةً سَنَقُوهُمْ بِعُضِّ الْأَشْيَاءِ الَّتِي فَعَلْنَاهَا كَمَقْدِمَةٍ. وَأَحَدُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي اسْتَمْتَعْتُ بِهَا هَذِهِ الْمَجْمُوعَةُ هُوَ إِشَادَةُ التَّرْنِيمَةِ الْكَنَسِيَّةِ الْكَلَّاسِيكِيَّةِ بِعُنْوَانِ: "قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ". كُنْتُ أَسْتَمِعُ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ تُرَنِّمُونَ. وَكَلَّمَا اسْتَمْتَعْتُ لِهَذِهِ التَّرْنِيمَةِ، لَا تَتْرَكُنِي الْفُشْعَرِيرَةُ فِي كُلِّ جَسَدِي. أَلَيْسَتْ رَائِعَةً؟ وَهنا أَفْكَرُ فِي الْمَلَائِكَةِ وَفِي جَمِيعِ مَنْ طَرَحُوا أَكَالِيَهُمُ الذَّهَبِيَّةَ بِجِوَارِ الْبَحْرِ الرَّجَاجِي، لِأَنَّ كُلَّ مَا لَهُ أَيَّةُ قِيَمَةٍ مِمَّا نَمْلِكُهُ هُوَ شَيْءٌ نَوْدُ أَنْ نَضَعَهُ بِسُرُورٍ عِنْدَ قَدَمِي الْقُدُوسِ. وَأَفْكَرُ كَيْفَ تَتَهَلَّلُ هَذِهِ الْكَنِيسَةُ أَوْ هَذِهِ التَّرْنِيمَةُ فِي مَجْدِ بَجَلَالِ اللهِ. لَكِنْ بَيْنَمَا كُنْتُ أَصْغِي إِلَيْكُمْ، فَكَّرْتُ هَكَذَا: "بِقَدْرِ مَا يَبْدُو وَقَعُهَا جَمِيلًا، تَخِيلُوا كَيْفَ سَيَكُونُ وَقَعُهَا إِنْ رَنَّمَهَا خُورَسُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ". هَذَا هُوَ مَا رَأَى إِشْعِيَاءُ: الْجُنْدُ السَّمَاوِيُّ فَوْقَ عَرْشِ اللهِ، يَرْتَمُونَ بِالتَّبَادُلِ كَلِمَةً وَاحِدَةً، تَتَكَرَّرُ مِرَارًا: "قُدُوسٌ قُدُوسٌ قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مَمْلُوءَتَانِ مِنْ مَجْدِهِ".

يا أَحِبَّاءَ، هُنَاكَ شَيْءٌ فِي هَذَا النَّصِّ يُمْكِنُ أَنْ نَقْرَأَهُ آلاَفَ الْمَرَّاتِ وَلَا نَنْتَبَهُ إِلَيْهِ. يَوْجَدُ شَيْءٌ لَهُ طَابِعٌ يَهُودِيٌّ أَصِيلٌ. فِي اللُّغَةِ الْإِنْجِلِيزِيَّةِ، حِينَ نُرِيدُ لِفَتْ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى شَيْءٍ مَا لَهُ أَهْمِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَالتَّشْدِيدَ عَلَيْهِ، نَسْتَحْدِمُ وَسَائِلَ مُخْتَلَفَةً مِنْ خِلَالِ الطَّبَاعَةِ. يُمَكِّنُ أَنْ نَضَعَ خَطًّا تَحْتَ الْكَلِمَاتِ، أَوْ نَجْعَلَ حُرُوفَهَا مَائِلَةً، أَوْ غَلِيظَةً، أَوْ نَضَعُ عِلَامَاتِ تَنْصِيصٍ أَوْ أَقْوَامِ حَوْلَهَا، أَوْ نَمَلَأُ الصَّفْحَةَ بِعِلَامَاتِ التَّعْجُبِ - كَمَا أَبْغِضُ عِلَامَاتِ التَّعْجُبِ حِينَ لَا يَوْجَدُ تَعْجُبٌ. حَتَّى مُحَرَّرِي كُتُبِي يَفْعَلُونَ هَذَا. وَأَكْتَشِفُهُ فِي الْمَسُودَّةِ النَّهَائِيَّةِ. إِذْ أَحْدُهُمْ يَضَعُونَ عِلَامَاتِ تَعْجُبٍ فِي جَمَلٍ لَيْسَتْ تَعْجِيبِيَّةً، وَأَرْجُوكُمْ لَا تَنْظُرُوا إِلَيَّ وَكَأَنِّي أَجْهَلُ اسْتِخْدَامَاتِ عِلَامَاتِ التَّعْجُبِ. فَهُمْ يَفْعَلُونَ هَذَا، وَهَذَا يَدْفَعُنِي لِلْجُنُونِ. لَكِنْ هَذَا هُوَ مَا نَفْعَلُهُ لِلتَّوَكِيدِ.

فعل الْيَهُودُ الشَّيْءَ ذَاتَهُ. فقد فعلوا كلَّ هذا - وَضَعَ حَظًّا، وَالْحَطَّ الْغَلِيظُ، وَالْمَائِلُ. لكنَّ كَانَ لَدَيْهِمْ أَسْلُوبٌ آخَرُ لَلْفَتْ الْإِنْتِبَاهِ إِلَى شَيْءٍ لَهُ أَهْمِيَّةٌ خَاصَّةٌ، وَهُوَ الْأَسْلُوبُ النَّبَسِيُّ لِلتَّكْرَارِ اللَّفْظِيِّ.

على سبيل المثال، أتذكَّرُ حينَ كَتَبَ الرَّسُولُ بولسُ لأهلِ غلاطيةَ، مُحَدِّثًا إِيَّاهُمْ مِنْ مَخَاطِرِ الانْحِرَافِ عَنِ الْإِنْجِيلِ الَّذِي اسْتَلَمُوهُ مِنْهُ. فقال: "إِنْ بَشَّرْنَاكُمْ نَحْنُ أَوْ مَلَائِكٌ مِنَ السَّمَاءِ بِغَيْرِ مَا بَشَّرْنَاكُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا" - أيُّ لِيَكُنْ مَلْعُونًا. هذا تصریحٌ قوِيٌّ مِنَ الرَّسُولِ بولسَ، لَكِنَّهُ لَمْ يَتَوَقَّفْ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ؛ بَلْ عَلَى الْفَوْرِ تَابَعَ قَائِلًا: "أَقُولُ الْآنَ أَيْضًا: إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبَشِّرُكُمْ بِغَيْرِ مَا قَبَلْتُمْ، فَلْيَكُنْ أَنَاثِيمًا" (غلاطية ١ : ٨-٩).

أَيْضًا كَانَ يَسُوعُ يَهُوِيَّ اسْتِخْدَامِ أَسْلُوبِ التَّكْرَارِ لِتَوْضِيحِ قَصْدِهِ. تَذَكَّرُوا أَنَّ يَسُوعَ كَانَ مَعْلَمًا يَهُودِيًّا. أَيُّ أَنَّهُ كَانَ عَالِمًا لِلأَهْوَتِ. كَانَتْ لَهُ مَدْرَسَةٌ، وَلَدِيهِ طَلِبَةٌ يُدْعَوْنَ تَلَامِيذَ، أَوْ مُتَعَلِّمِينَ، انْضَمُّوا إِلَى مَدْرَسَتِهِ. وَهُوَ كَانَ مَعْلَمًا مُتَجَوِّلاً. أَيُّ أَنَّهُ كَانَ يَتَجَوَّلُ، وَبَيْنَمَا كَانَ يَسِيرُ، كَانَ التَّلَامِيذُ يَتَّبِعُونَهُ بِشَكْلِ حَرْفِيٍّ. حينَ كَانَ يَقُولُ: "اتَّبِعْنِي"، كَانَ يَقْصِدُ تَبَعِيَّةَ حَرْفِيَّةً، أَيُّ: "سِيرُوا وَرَائِي". وَكَانَتْ طَرِيقَةُ التَّبَعِيَّةِ هِيَ: أَنْ يَدْفَعُ الْمَعْلَمُ تَعْلِيمَهُ شَفَهِيًّا، أَيُّ مُحَاضَرَتَهُ، فِي أَثْنَاءِ سِيَرِهِ مَعَهُمْ، مَثَلًا، فِي طَرِيقِ عَمُوسَ، أَوْ أَيُّ طَرِيقِ آخَرَ، وَكَانَ عَلَى التَّلَامِيذِ أَنْ يَسِيرُوا وَرَاءَهُ، وَيَحْفَظُوا عَنِ ظَهْرِ قَلْبِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَعْلَمُهُمْ إِيَّاهَا.

أَيْهَا السَّادَةُ، كُلُّ تَعْلِيمٍ خَرَجَ مِنْ شَفَتِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ كَانَ مُهَمًّا، لَكِنْ صَرَفَ رَبُّنَا نَفْسَهُ وَقَتًا لِيَلْفِتَ الْإِنْتِبَاهَ إِلَى أَشْيَاءَ اعْتَبَرَهَا فَائِقَةً الْأَهْمِيَّةِ. وَكُلَّمَا كَانَ يَصِلُ إِلَى فِكْرَةٍ كَهَذِهِ، أَرَادَ التَّأَكُّدَ مِنْ أَلَّا تَغِيْبَ عَنِ بَالِ تَلَامِيذِهِ، وَكَانَ يُمَهِّدُ لَتَعْلِيمِهِ بِكَلِمَتَيْنِ، قَائِلًا: "الْحَقُّ الْحَقُّ أَقُولُ لَكُمْ". فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ كَانَ يَقُولُ: "أَمِينَ أَمِينَ أَقُولُ لَكُمْ". تَعْرِفُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةَ. فَهِيَ تَلْفِظُ هَكَذَا فِي كُلِّ اللُّغَاتِ، إِذْ نَقُولُ: وَيَقُولُ جَمِيعُ الشَّعْبِ. أَمِينَ.

لَكِنَّا نَقُولُ "أَمِينَ" بَعْدَ تَعْلِيمٍ أَوْ وَعْظٍ. وَهِيَ تَعْنِي: "هَذَا حَقٌّ، نُوْمِنُ بِهَذَا"، وَغَيْرَ ذَلِكَ. لَمْ يَنْتَظِرْ يَسُوعُ مِنْ تَلَامِيذِهِ أَنْ يُوكِّدُوا صِحَّةَ مَا يَقُولُهُ، لَكِنَّهُ بَدَأَ عِظْتَهُ بِقَوْلِهِ: "أَمِينَ، أَمِينَ". يُشْبِهُ هَذَا سَمَاعَ صَوْتِ رَبَّانٍ سَفِينَةٍ فِي جِهَازِ الْإِتِّصَالِ، قَائِلًا: "انْتَبَهُوا جَمِيعًا، مَعَكُمْ رَبَّانُ السَّفِينَةِ". حينَ كَرَّرَ يَسُوعُ تِلْكَ الْكَلِمَةَ مَرَّتَيْنِ، كَانَ يُوكِّدُ أَهْمِيَّتَهَا.

أَيْهَا السَّادَةُ، صِفَةٌ وَاحِدَةٌ فَقطُ مِنْ صِفَاتِ اللَّهِ وَصَلَتْ إِلَى دَرَجَةِ التَّكْرَارِ الثَّلَاثِي فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. وَصِفَةٌ وَاحِدَةٌ فَقطُ هِيَ الَّتِي شَدَّدَ عَلَيْهَا الْمَلَائِكَةُ. يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ لَيْسَ فَقطُ إِنَّ اللَّهَ قُدُّوسٌ، أَوْ حَتَّى إِنَّهُ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، بَلْ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ.

لَا يَقُولُ الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ إِنَّ اللَّهَ رَحِمَةٌ، رَحِمَةٌ، رَحِمَةٌ؛ أَوْ مُحِبَّةٌ، مُحِبَّةٌ، مُحِبَّةٌ؛ أَوْ عَدْلٌ، عَدْلٌ، عَدْلٌ؛ أَوْ غَضَبٌ، غَضَبٌ، غَضَبٌ؛ بَلْ إِنَّهُ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ. هَذَا جَانِبٌ مِنَ اللَّهِ يَشْعَلُ جَوْهَرَهُ. وَحينَ اسْتَعْلَنَ لِإِسْعِيَاءَ، نَقَرُ

أَنَّهُ عِنْدَ سَمَاعِ صَوْتِ السَّرَافِيمِ "اهْتَزَّتْ أَسَاسَاتُ الْعَتَبِ" (إِشْعِيَاءُ ٦ : ٤). أَتَسْمَعُونَ هَذَا؟ أَشْيَاءُ جَامِدَةٌ، وَبِلا حَيَاةٍ، وَغَيْرُ عَاقِلَةٍ مِنَ الْخَلِيقَةِ، فِي وَجُودِ اسْتِعْلَانِ لِقَدَاسَةِ اللَّهِ، قَرَّرَتِ التَّحْرُكُ. كَيْفَ لَنَا نَحْنُ الَّذِينَ خُلِقْنَا عَلَى صُورَتِهِ أَنْ نَكُونَ غَيْرَ مَبَالِينِ أَوْ مَتَبَلِّدِينَ أَمَامَ جَلَالِهِ؟

اللَّهُ وَخَدَهُ قَدُوسٌ، وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَهُ فِي هَذِهِ السِّلْسِلَةِ هُوَ أَنْ أَحَاوِلَ وَصَفَ مَعْنَى هَذَا، وَرَدَّ فِعْلَ إِشْعِيَاءِ وَآخِرِينَ عَبْرَ التَّارِيخِ حِينَ يَظْهَرُ الْقَدُوسُ.

دَعُونَا نُصَلِّي.

يَا أَبَانَا نَحْنُ نَفْرَحُ لِأَنَّ شَيْئًا أَوْ شَخْصًا مَا فِي هَذَا الْكَوْنِ النَّجْسِ قَدُوسٌ لَيْسَ إِلَى حَدِّ مَا، بَلْ قَدُوسٌ قَدُوسٌ قَدُوسٌ إِلَى أَقْصَى حَدِّ. هَبْ قُلُوبَنَا فَرَحَ السَّرَافِيمِ بِهَذَا الْحَقِّ. آمِينَ.

الدكتور أ. سي. سبرول هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدَيْسِ أَنْدَرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيسٍ لِكُلِّيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ أَلْفَ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كُلُّنَا لَاهُوتِيُونَ" (Everyone's). (A Theologian).

تَمَّ نَشْرُ هَذِهِ الْمَحَاضِرَةِ فِي الْأَصْلِ فِي مَوْقِعِ [ليجونير](https://ar.ligonier.org).